تفعيل المقاصد في قضايا الأسرة
الزواج والطلاق: أمريكا أنموذجا

زينب طه العلواني

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

يناير ٢٠٠٩م

ملخص البحث

تأتي هذه الدراسة في محاولة للكشف عن المقاصد الأسرية وكيفية تفعيلها، بتقديم خطوات عملية في معالجة نماذج تطبيقية تُفعل فيها المقاصد الأسرية في مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية، الذي يزخر بالتحديات الداخلية والخارجية على مختلف الأصعدة. ولئن ركزت معظم الدراسات السابقة اهتمامها على عرض المقاصد بشكل عام ينحو منحى التنظير غالبا، فقد حرصت هذه الدراسة على معالجة موضوع المقاصد بشكل عملي في حلقة من أهم حلقاته ألا وهي حلقة الأسرة. واعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي في جمع المادة العلمية ثمّ القيام بالتحليل والاستنباط. ولا تركز الدراسة على الترجيح بين الآراء الفقهية المختلفة في ثنايا عرض القضايا المختلفة وآراء الفقهاء فيها، بقدر ما تروم دراسة المقاصد الأسرية فيها، وتقديمها للباحثين المعاصرين في هذا المجال. كما تعد الدراسة في بعض جوانبها، دراسة ميدانية من حيث تتبع الباحثة للحالات والمشاكل الأسرية في المجتمع الأمريكي، من خلال عملها في مجال التدريس والإفتاء في العديد من مؤسسات ومراكز الجالية المسلمة في أمريكا الشمالية. وقد قدمت الدراسة نماذج تطبيقية من واقع الجاليات المسلمة في المجتمع الأمريكي لإبراز أهمية وضرورة تفعيل المقاصد في مجال القضايا الأسرية. ولم تكتفِ الدراسة بذلك فحسب بل قدمت ضوابط وإجراءات وقائية تروم ضبط الاجتهاد المقاصدي وحماية تفعيله في واقع الجاليات المسلمة التي تواجه العديد من التحديات والتغيرات الداخلية والخارجية. كما قامت الدراسة بتقديم ضوابط لتفعيل المقاصد الأسرية وضمان تحقيقها من خلال الرجوع والنظر في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، مع دراسة الواقع المعاش الذي تواجهه الأسرة الأميركية المسلمة المهاجرة منها والمقيمة خاصة فيما يتعلق بأحكام الزواج والطلاق وملحقاتهما. كذلك قامت الدراسة بتقديم توصيات ومقترحات مستقبلية لتطوير الاجتهاد في مختلف المؤسسات الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية وبما يتوافق مع مقاصد التشريع وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان. وأكدت نتائج الدراسة على ضرورة تفعيل المقاصد الأسرية، وأن العمل بالمقاصد والتأكيد على أهميتها لا يعني إلغاء الأحكام الشرعية أو التشريع لمبدأ الذوبان في المجتمعات الغربية التي تعيشها مختلف الجاليات المسلمة وفقدان الهوية. بل هو حماية حقيقية لأحكام التشريع من التلاعب بها. وأكدت على ضرورة الاهتمام بعملية ضبط الاجتهاد المقاصدي المتضمن لوسائل الكشف عن المقاصد الأسرية ووسائل تفعيلها، وتتأكد أهمية هذه الضرورة في ظل التحديات المعاصرة التي تعيشها الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية والأمريكية خاصة.

ABSTRACT

The purpose of this study is to analyze the development of a fundamental theoretical framework for studying the nature of *Maqasid al shariah* from the traditional sources; in addition to the application of *Maqasid al shariah* in dealing with the contemporary challenges that confront American Muslim family today. This study presents a comprehensive model and theory of the application of the objectives of Shariah through the American Muslim family. While all the previous studies focus only on the theoretical aspects of the objectives of Shariah, this paper actually applies the objectives of Shariah in the Muslim family system. The methodology of this study was obtained through an analytical method of collective data gathering. This study used both theoretical and practical aspects to formulate qualitative results. This study proved that the Structure of the objectives of shariah is An essential methodology in dealing with American Muslim family's challenges. This methodology opens great opportunities for Islamic law to address current challenges for Muslim societies and Muslim Minorities. Therefore, the study presents a strict set of rules which regulate the process of Ijtihad. This study also provides proposals that will positively impact and influence Islamic organizations in America. The conclusion of this study emphasizes on ability of applying the objectives of Shariah in the family law. This study proves that the objectives of Shariah protect the solidarity of Islamic rulings and emphasized the importance of a strict and organized process of Ijtihad.

APPROVAL PAGE

The thesis of Zainab T. Alwani has been approved by the following:.

_____
Sano K. Moustapha
Supervisor

_____
Arif A. Arif
Internal Examiner

_____
Mahmud A. M. Al-Sartawi
External Examiner

_____
Nasr Eldin Ibrahim Ahmed
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Signature ..... Date: .....

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

DECLARATION OF COPYRIGHT AND AFFIRMATION OF FAIR USE OF UNPUBLISHED RESEARCH

Copyright © 2009 by Zainab T. Alwani. All rights reserved

PROTECTION OF PRIVACY AND THE PERSONAL DATA IN THE INFORMATION AGE: THE MALAYSIAN APPROACH

No part of this unpublished research may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise without prior written permission of the copyright holder except as provided below.

1. Any material contained in or derived from this unpublished research may only be used by others in their writing with due acknowledgement

2. IIUM or its library will have the right to make and transmit copies (print or electronic) for institutional and academic purposes

3. The IIUM library will have the right to make, store in a retrieval system and supply copies of this unpublished research if requested by other universities and research libraries.

Affirmed by Zainab T. Alwani.

....

Signature Date

إلى ...

من رباني ورعاني صغيراً وتابعني وعلمني كبيراً، إلى من هو لي خير سند وذخر، إلى من هو لي خير أستاذ وشيخ، إلى من لايفوّت لحظة في تشجيعي على الاستزادة من طلب العلم

والدي ... حفظه الله ورعاه...

وإلى...

من حملتني وهناً على وهن، وربتني على حب الإتقان والتفوق، إلى من شجعتني على حب الخير وأهله

والدتي الحنون... حفظها الله ورعاها...

إلى ...

من شاركني همي وآلام متاعبي في طلب العلم، إلى من قاسمني مسؤولياتي لهون عليّ عناء البحث والدراسة

زوجي... شكراً وامتناناً

إلى..

قرة عيني، وفلذات كبدي

أولادي وبناتي... حباً وحناناً

إلى...

من أمدوني بالحب والدعم اللامحدود وتحملوا معي هم البحث ومشاقه

إخوتي وأقاربي أصدقائي...حباً واعترافاً بالجميل.....

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

الشكر التقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبذكره وشكره تتنزل الخيرات، وأصلي وأسلم على نبيـــنا وحبيبنا محمد عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه وسلم، وعلى من سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

بعـــد إنجاز هذه الرسالة التي أرجو أن تكون قد نجحت في تحقيق أهدافها لا يسعني إلا أن أتقـــدم بجـــزيل شكري وعظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور قطب مـــصطفى ســـانو، والـــذي تفـــضل مشكوراً بالاشراف على هذه الرسالة والذي كان لتوجـــيهاته وملاحظاتـــه أكبر الأثر في تقويم مسار هذه الرسالة والوصول بها إلى صورتها النهائية، وذلك بالرغم من كثرة مشاغله وأسفاره وارتباطاته العلمية والأكاديمية، فجزاه الله عني كل خير.

كمـــا أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى إدارة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، هذه الجامعة المتميزة بعطاءها العلمية الجبارة على جميع المستويات، والشكر موصول إلى عمادة كلية معارف الوحي وإلى عمادة مركز الدراسات العليا، كما لا يفوتني أن أشكر الموظفين المخلصين العاملين على تسهيل أمور الطلاب الأجانب في مختلف المواقع على ما قدموه لي مـــن تسهيلات وخدمات والتي كان لها أكبر الأثر في استكمال هذه الرسالة، كما أتقدم بـــشكري وامتـــناني إلى الأســـاتذة الأفاضـــل رئيس وأعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا مـــشكورين بقبول مناقشة الرسالة وإلى جميع الأساتذة والإخوة الذين أسدوا إلى المشورة والنصيحة وعلى ما قدموه لي من مساعدة وجهد. جزا الله الجميع عني خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

محتويات البحث

ملخص البحث ..... ب

Abstract ..... ج

Aproval Page ..... د

صفحة الإقرار ..... هـ

صفحة الحقوق ..... و

الإهداء ..... ز

الشكر والتقدير ..... ح

الباب التمهيدي ١

المقدمة ١

أسئلة الدراسة ٢

أهداف الدراسة ٢

حدود الدراسة ٣

إضافة الدراسة النوعية ٣

منهجية الدراسة ٤

الدراسات السابقة ٤

تقسيم الدراسة ١٤

الباب الأول: الإطار المفاهيمي للمقاصد ١٦

تمهيد ١٦

الفصل الأول: المفهوم العام للمقاصد ١٨

الفصل الثاني: جدلية العلاقة بين مفهوم المقاصد ومصطلحي التعبد والتعليل ٣٠

الفصل الثالث: مفهوم الأسرة في القرآن الكريم ٤٥

الباب الثاني: تطور العمل بالمقاصد الأسرية ... رؤية تاريخية ٥٢
تمهيد ٥٢
الفصل الأول: المقاصد الأسرية في عصر الرسالة ٥٤
المبحث الأول: مقصد الزواج المشروع ٥٤
المبحث الثاني: مقصد السكن والاستقرار الأسري ٥٩
المبحث الثالث: مقصد ضبط العلاقة بين الرجل والمرأة ٦٤
المبحث الرابع: مقصد حفظ النوع (النسل) ٧٣
المبحث الخامس: مقصد التسريح بإحسان ٧٨
الفصل الثاني: المقاصد الأسرية في عصر الخلافة الراشدة ٨٦
الفصل الثالث: المقاصد الأسرية في عصر المجتهدين ٩٠
الفصل الرابع: المقاصد الأسرية عند المعاصرين ٩٦

الباب الثالث: نماذج تطبيقية لتفعيل المقاصد الأسرية في الولايات المتحدة الأميركية ١٠٢
الفصل الأول: وضع الأسرة المسلمة في الولايات المتحدة الأمريكية ١٠٢
المبحث الأول: التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة في أميركا ١٠٣
أولا: الاختلاف الاصطلاحي والمفاهيمي للأسرة ١٠٦
ثانيا: اختلاف البيئات والأعراف الاجتماعية ١٢٣
ثالثا: حركات تحرير المرأة والنسوية ١٣٨
رابعا: غياب السلطة التشريعية الممثلة للجالية المسلمة ١٤٣
الفصل الثاني: النموذج الأول (توثيق العقود) ١٥٣
الفصل الثالث: النموذج الثاني (الزواج بالكتابية) ١٦٩
الفصل الرابع: النموذج الثالث (الحضانة) ١٨١

الباب الرابع: ضوابط تفعيل المقاصد الأسرية ١٩٢
الفصل الأول: حاكمية النصوص ١٩٣
الفصل الثاني: ضرورة فقه الواقع ٢١٠

الفصل الثالث: اعتبار مآلات الأفعال ٢١٨

الخاتمة والنتائج ٢٣٢

فهرس المراجع ٢٣٥

الباب التمهيدي

المقدمة

تحتل الأسرة دوراً رسالياً ومهمة حضارية تاريخية ودوراً استخلافياً في كافة المجتمعات الإنسانية على تعدد نحلها واختلاف أديانها ومللها. وثمة مجتمعات إنسانية يتعايش فيها أفراد وتجمعات من خلفيات وأعراق متنوعة، تختلف فيما بينها في الدين والأعراف والعادات الاجتماعية والطبائع والسلوكيات الإنسانية.

ومما لا شك فيه أن هذا التعدد والتنوع يفرض على تلك التجمعات أشكالا وصورا متعددة من التحديات المختلفة. ولعلّ من أبرز هذه التجمعات اليوم، الجاليات المسلمة التي انتشرت ولا تزال في مختلف أصقاع الأرض وخاصة في دول أوروبا والولايات المتحدة الأميركية.

ويلعب الاختلاف والتباين الذي تواجهه تلك الجاليات في الدين والأعراف الاجتماعية، دورا بارزا في تصعيد التحديات والصعوبات التي تعاني منها تلك الجاليات وخاصة فيما يتعلق بمجال الأسرة. والتي تعد اللبنة الأولى والأساس في تنشئة أجيال الجالية المسلمة هناك.

وقد برزت إشكاليات خطيرة في الجالية المسلمة تحدت نموذجها المعرفي في كل جوانبه، حيث اختلط المسلمون هناك مع مختلف النماذج المعرفية والخلفيات التاريخية والاجتماعية، فتعقدت بنية الجاليات المسلمة، وبدأت تطرح على العلماء هناك، عشرات التساؤلات لمواجهة التحديات.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان اللذان يشكلان بنية مؤسسة الأسرة المسلمة مهما اختلفت طبيعة البيئة التي تعيش فيها أو تعددت. وقد وضعت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية مقاصد لبناء الأسرة والحفاظ عليها وحمايتها من الأخطار التي يمكن أن تعصف بها. فرسالة الإسلام رسالة عالمية صالحة للتطبيق في كل زمان وبيئة، لا تطالها عوارض النقص أو الخلل، فهي شريعة خالدة أنزلها الله سبحانه على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وختم بها الشرائع والرسالات.

وعلى هذا فإن الكشف عن مقاصد الشريعة في مؤسسة الأسرة أمر ضروري، تزداد

الحاجة الملحة إليه في ظل التحديات المهولة التي تعيشها المجتمعات المسلمة قاطبة، والجاليات والأقليات المسلمة بشكل خاص.

من هنا تأتي هذه الدراسة في محاولة -تعد من أوائل المحاولات- للكشف عن المقاصد الأسرية وكيفية تفعيلها من خلال تقديم نماذج تطبيقية عملية، تهمّ الجاليات المسلمة التي تعيش في بيئات غربية، تزخر بالتحديات الداخلية والخارجية وعلى مختلف الأصعدة.

كما تقوم الدراسة بتقديم ضوابط لتفعيل المقاصد الأسرية وضمان تحقيقها من خلال الرجوع والنظر في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، مع دراسة الواقع المعاش الذي تواجهه الأسرة الأميركية المسلمة المهاجرة منها والمقيمة خاصة فيما يتعلق بأحكام الزواج والطلاق وملحقاتهما.

أسئلة الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما مقاصد التشريع في القضايا الأسرية؟ وما مدى فاعلية الفكر المقاصدي كمنهج يساعد في التنظير الكلي لتلك القضايا المتشعبة في البيئات المختلفة وخاصة البيئة الأمريكية؟
- إلى أي مدى تستطيع الجالية المسلمة -في الولايات المتحدة الأمريكية- تفعيل المقاصد الأسرية في معالجة المشاكل التي تواجهها في ظل التحديات المتراكمة والظرفية التاريخية التي تحياها؟
- ما أثر تفعيل المقاصد الأسرية في معالجة القضايا الأسرية التي تواجهها الجالية هناك؟
- ما الضوابط التي ينبغي للمجتهدين والفقهاء المعاصرين الوقوف عندها لضبط عملية التفعيل المقاصدي في البيئة الأمريكية لضمان الالتزام بشرع الله؟

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق أهداف من أهمها:

١. تفعيل مقاصد التشريع في القضايا الأسرية وتقديم نماذج لهذا التفعيل من خلال عرض بعض الأمثلة التطبيقية لما تواجهه الجالية الأمريكية من مشاكل وتحديات

في نطاق الأسرة.

٢. محاولة تحديد ضوابط تراعى فيها حفظ مقاصد الشريعة العليا في مؤسسة الأسرة دون أن تتخذ المقاصد وسيلة لتمييع القطعيات أو التلاعب بها.

ولذلك تحرص هذه الدراسة على التأكيد على الكليات في إطار يساعد على تنظيم الجزئيات دون الإخلال بالقطعيات مع مراعاة مآلات الأفعال وتكامل مناهج التنظير مع التنـــزيل وتوسيع فضاء الفقه وأدواته وتكامله مع العلوم الأخرى لتفعيل مقاصد التشريع.

حدود الدراسة

ستكون الدراسة منحصرة في دراسة ومراجعة ما يختص ببعض قضايا الزواج والطلاق في الأسرة المسلمة "في أمريكا الشمالية كنموذج". وستركز هذه الدراسة على أهم الظواهر الاجتماعية والمشكلات المنتشرة في الأسرة المسلمة الأمريكية اليوم، مع إبراز أهمية الحاجة إلى تفعيل مقاصد التشريع في الأسرة لتجاوز هذه التحديات والحفاظ على مقاصد الإسلام العليا من إقامة الدين والحفاظ على بنية الأسرة المسلمة في سبيل الحفاظ على هوية المسلم في المجتمع الأمريكي.

إضافة الدراسة النوعية

تنفرد هذه الدراسة بمحاولة تقديم إضافات نوعية، تعد الأولى من نوعها –حسب علمي المتواضع– في مجال تفعيل المقاصد الأسرية. ويمكن تلخيص هذه الإضافات في النقاط التالية:

- معالجة مشروع تفعيل المقاصد الأسرية من خلال تقديم نماذج تطبيقية في قضايا الأسرة المسلمة في الولايات المتحدة الأمريكية.
- ضبط التفعيل المقاصدي لأحكام التشريع في مجال الأسرة خاصة وذلك من خلال تقديم ضوابط لتفعيل المقاصد الأسرية في البيئات المختلفة.
- تقديم توصيات ومقترحات مستقبلية لتطوير الاجتهاد في مختلف المؤسسات الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية وبما يتوافق مع مقاصد التشريع وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان.

- التأكيد على عالمية الإسلام وقدرة تشريعاته وأحكامه على مواكبة كافة التغيرات والظروف التي تعيشها مختلف المجتمعات الإنسانية في مختلف الأزمان والعصور. فقد حرصت الدراسة على معالجة قضايا شائكة في مجال الأسرة لتكون بمثابة أنموذج تطبيقي تقدمه الجالية المسلمة للمجتمع الأمريكي الذي تحيا فيه. ولا تخفى أهمية ذلك في نشر الإسلام من خلال الوسائل العملية والصورة الحية المشرقة التي ينبغي أن يراها الآخرون للجاليات المسلمة. خاصة وأن الإسلام -كما هو معلوم- قد انتشر في أصقاع الأرض من خلال تعايش المسلمين وتعاملهم الأخلاقي المتميز مع الشعوب التي عاشوا فيها.

منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على توظيف المنهج الاستقرائي التحليلي في جمع المادة العلمية ومن ثمّ القيام بالتحليل والاستنباط.

ولا تركز الدراسة على الترجيح بين الآراء الفقهية المختلفة في ثنايا عرض القضايا المختلفة وآراء الفقهاء فيها، بقدر ما تروم دراسة المقاصد الأسرية فيها، وتقديمها للباحثين المعاصرين في هذا المجال. وللمجتهد أن ينظر في هذه القضايا من خلال فهم النصوص الواردة واستحضار المقاصد الشرعية فيها، ودراسة واقعه.

كما تعد الدراسة في بعض جوانبها، دراسة ميدانية من حيث تتبع الباحثة للحالات والمشاكل الأسرية في المجتمع الأمريكي، من خلال عملها في مجال التدريس والإفتاء في العديد من مؤسسات ومراكز الجالية المسلمة في أمريكا الشمالية.

الدراسات السابقة

حظيت مؤسسة الأسرة في الإسلام باهتمام واسع بين العلماء والباحثين والمفكرين قديماً وحديثاً. خاصة وأن الأحكام التنظيمية المتعلقة بالكيان الأسري في الإسلام قد جاء مفصلا تفصيلا دقيقا، أكدته سلوكيات وممارسات وأقوال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في عشرات الحوادث والوقائع المختلفة. الأمر الذي ظهر في تراكم معرفي هائل تمثل في كمّ هائل من الدراسات والبحوث ذات المناهج والمشارب المتعددة.

من هنا فإن هذه الدراسة ستقف على العديد من الدراسات القديمة والحديثة التي تناولت قضايا الأسرة ومقاصد التشريع الإسلامي في أحكامها.

وتشكل أمهات كتب الفقه -بجميع مذاهبها ومدارسها- مادة خصبة مهمة لأحكام الأسرة وقوانينها ومقاصدها في الماضي و الحاضر. ونظرا لسعة خارطة المراجع الفقهية والأصولية وخشية الإطالة فيها، فستقصر الدراسة على مراجعة البعض من تلك المؤلفات المتعلقة بدراسة أنظمة الأسرة وعلاقتها بالمقاصد.

خاصة وأن بوادر الاهتمام بالمقاصد في أنظمة الأسرة، قد ظهر مبكراً من خلال سلوكيات النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وعمل الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم.

بَيد أن الكتابة في معالم المقاصد وأسرار الشرائع في الأسرة، قد ظهر جليا في كتابات بعض علماء القرن الخامس والسادس الهجري كالإمام الراغب الأصفهاني[1] (ت٥٠٢هـ) في كتبه المتميزة مثل: **"الذريعة إلى مكارم الشريعة" و"تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين"** وكذلك **"المفردات في غريب القرآن"**.

فقد قدّم الأصفهاني -رحمه الله- منهجاً تجديدياً في اعتبار المفردات القرآنية، مفاهيم عميقة تعكس فلسفة القرآن الكريم ومعانيه، من خلال تتبعه الواسع للفظة القرآنية في استعمالات القرآن الكريم لها. بالاضافة إلى تتبعه للمعاني اللغوية بشكل يفتح آفاق اللفظة قرآنياً ويوسع فضاءاتها، دون أن يجعل قوانين اللغة قيداً عليها. وقد كان لمفردات أنظمة الأسرة نصيباً وافياً في "المفردات" حيث حاول أن يحدد بعض المعالم المقصدية من خلال تناوله لبعض المفاهيم كالإحصان والمودة والرحمة والزواج والميراث وغيرها مما تعكس رؤيته في تتبع أسرار الشريعة.

وقد برزت هذه الرؤية واضحة في كتابيه **"الذريعة إلى مكارم الشريعة" وفي "تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين"** والتي ركز فيها على دور الأسرة وأهميتها في بناء الإنسان المستخلف في الأرض وحاجته إلى محضن أسسه واضحة المعالم وقوية البناء كي تؤهله للأداء الأمانة التي أوكل لاداءها وهي الاستخلاف. ولذلك فقد فصل رحمه الله

---

[1] الأصفهاني، أبو الراغب. **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي (القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م). انظر أيضاً: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (بيروت: دار صادر).

خصائص الأسرة في القرآن وربطها بتربية إنسان الخلافة، وبين أن التقصير بتكوين تلك المؤسسة التربوية على أسس صحيحة سيؤدي إلى غير مقاصد الخالق، ولقد ربط رحمه الله المعاني المعنوية والروحية بالأحكام الشرعية في مختلف أنظمة الأسرة.

إلا أن هذا المشروع لم يتطور من بعده، إلا فيما ظهر مؤخراً من اهتمام بالمفاهيم القرآنية والتي رجع العديد من الباحثين في تأصيلها إلى ما كتبه الاصفهاني.

أما الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) رحمه الله فقد عالج في كتابه "**إحياء علوم الدين**" ما وصلت إليه بعض الكتابات الفقهية من بعض الجمود والركود، الأمر الذي أدى إلى تجريد الأحكام الشرعية أحياناً من روح التشريع.

وعلى هذا قدّم الإمام الغزالي مشروعه التجديدي في البحث عن أسرار التشريعات وتقصي بعض معانيها الكامنة سواء في العبادات أو المعاملات. ومن ذلك ما تناوله في باب آداب النكاح (الثاني من ربع العادات) وكذلك ما جاء في تحديده لبعض الضوابط التربوية في تربية الأولاد.

فقد بيّن مقاصد النكاح في تحصيل الولد وأعتبره الأصل، وبين أنه قربة من أربعة أوجه: موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لابقاء جنس الإنسان، وطلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التكثير من مباهاته، وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح، وطلب الشفاعة بموت الولد الصغير. كما أوضح تحقيق الزواج لمقصد الترويح للنفس بالمجالسة والملاعبة، وتفريغ للقلب عن تدبير المنـــزل.

ولم تظهر محاولة الإمام الغزالي بصورة متكاملة في باب الكشف عن مقاصد التشريع في الأسرة، فقد جاءت متفرقة موزعة على أبواب في سياق حديثه عن المعاملات والعلاقات بين الوالدين والولد وصلة الرحم وغيرها.

إلا أن أهمية محاولته تكمن في منهجه في البحث عن أسرار التشريعات ووضعه البذور الأولى في تتبع مقاصد الشريعة في الأحكام والتشريعات المتعلقة بالأسرة. وعلى هذا فقد تابع الأصوليون، الإمام الغزالي فيما كتب وأعتبروا تحصيل الولد هو المقصد الأصلي للنكاح.

وتبرز أهمية مساهمات ابن تيمية[٢] (ت٧٢٨هـ) رحمه الله في مجال تفعيل المقاصد

[٢] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى الكبرى**، تحقيق" عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (الرياض: مطابع الرياض، ١٣٨١هـ).

الأسرية، من خلال تناوله لعدد من القضايا الأسرية المتعلقة بالطلاق في مجتمعه وبيئته آنذاك. فقد لاحظ رحمه الله خطورة تعامل الناس مع الطلاق، وتلاعبهم بأحكامه، واستخفاف البعض بإطلاق ألفاظ الطلاق. فجاءت فتاواه المشهورةــ متتبعة لمقاصد التشريع في الأسرة، وتفعيلا عمليا لها في الواقع على الرغم من مخالفته لكثيرين من علماء عصره، كما في مسألة طلاق الثلاثة في مجلس واحد.

ويعتبر **كتاب فتاوى ابن تيمية** من المراجع التي يمكن الاستفادة من منهجه في التعامل مع النصوص عند تقديم فتواه بناء على ملاحظة قصد الشارع من تشريع هذا الحكم أو ذاك خاصة في مسائل الزواج والطلاق والميراث.

أما مساهمات الإمام الشاطبي (٧٩٠هـ) في مقاصد الشريعة في الأسرة فقد اتضحت في **الموافقات**، حين وقف عند بعض مقاصد النكاح وبين أنه مشروع للتناسل على القصد الأول. كما أشار إلى مقصد طلب السكن والازدواج والتعاون على المصالح الدنيوية والأخروية، من الاستمتاع بالحلال، والنظر إلى ما خلق الله من المحاسن في النساء، والتجمل بمال المرأة، أو قيامها عليه وعلى أولاده، والتحفظ من الوقوع في المحظور من شهوة الفرج ونظر العين، والازدياد من الشكر بمزيد النعم من الله على العبد وما أشبه ذلك. وكانت مساهمته رحمه الله في توسيع دائرة المقاصد التبعية، وأبقى على المقصد الأصلي في الضروريات وهو حفظ النسل.

أما الكتابات الحديثة فقد وقفت الدراسة على البعض منها، كالتي وردت في كتب التفسير والفقه والقانون والاجتماع والكتب العامة وغيرها. وقد انعكست طبيعة الظرفية التاريخية والفكرية والاجتماعية التي كان يعيشها العالم الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي على تلك الكتابات. فقد واجه العالم الإسلامي عنف المستعمر الغربي ومحاولاته الغادرة لتحطيم أهم الأسس التكوينية للمجتمع المسلم وخاصة المرأة.

من هنا ركز مصلحو تلك الفترة على الأسرة كلبنة مهمة في الإصلاح الاجتماعي، فجاءت في كتب التفسير على سبيل المثال فيما أسماه الشيخ الذهبي في كتابه **التفسير والمفسرون** والذي تتبع فيه أطوار التفسير فأسمى تفسير العصر الحديث "بالتفسير الاجتماعي". وظهر هذا الاتجاه واضحاً في تفسيرات الشيخ محمد عبده والتي خرجها

تلميذه محمد رشيد رضا فيما عرف "بتفسير المنار" أو "**تفسير القرآن العظيم**"[٣]. وكذلك ما كتبه سيد قطب في تفسيره "**في ظلال القرآن**" وكتبه الأخرى التي أكد فيها على أهمية دور الأسرة في التكافل الإجتماعي والاقتصادي والبعث الحضاري.

وكذلك ما جاء في كتابات د. محمد عبد الله دراز (**دستور الأخلاق في القرآن**) الذي أصل لمنظومة القيم في التشريعات تأصيلاً علمياً أخرجها من دائرة الفضائل إلى الدوائر المنهجية.

ومن الجهة القانونية ظهر كتاب مصطفى السباعي (**المرأة بين الفقه والقانون**)[٤] والذي جاب فيه بمختلف الأحكام الفقهية والقانونية للمرأة في الأسرة. ولكن كان هدفه هو الدفاع والرد على اتهامات اتباع المنظور الغربي، و لم تكن الغاية التأصيل.

أما الشيخ محمد أبو زهرة فقد كتب في الأحوال الشخصية وتتبع فيه مختلف قوانين الأسرة في مختلف المذاهب الفقهية. ولقد تميز هذا الكتاب بالمقارنة بين المذاهب، ثم تبعه بالكتابة في الأحوال الشخصية الكثير ولكنها لم تتعد النقل والمقارنة بين المذاهب فحسب.

ومن الكتابات الهامة التي وقفت عليها الدراسة، كتابات د. محمد بدر –أستاذ فلسفة القانون في جامعة القاهرة– والذي نشر العديد من الكتب والمقالات التي تناول فيها قضايا الأسرة المختلفة مثل (**قانون الزواج**) و (**تعدد الزوجات**) وغيرها. وتمتاز كتاباته بعقد مقارنات واسعة بين الأحكام والقوانين الإسلامية وبين الإحكام الأغريقية والرومانية والفرعونية وغيرها من التشريعات اليهودية والنصرانية بلغاتها. الأمر الذي يفتح أمام الباحث الذي يتعامل مع القوانين الغربية في أميركا وغيرها آفاقاً واسعة لتطوير مناهج التعامل معها والمقارنة بين التشريعات المختلفة في مرحلة التأصيل والتنظير.

وكذلك جهود الأستاذ محمد عزة دروزة الذي حاول في كتبه (**الدستور القرآني**) (**المرأة في القرآن والسنة**)[٥] التي ظهرت فيها مؤشرات منهجية في التعامل مع القرآن والسنة.

---

[٣] رضا، محمد رشيد ، **تفسير المنار** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢).

[٤] السباعي، مصطفى، **المرأة بين الفقه والقانون** (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٦، ١٩٨٤م).

[٥] دروزة، محمد عزة، **المرأة في القرآن والسنة** (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٠م).

وكذلك كتابات علماء الهند منذ زمن أحمد شاه ولي الله الدهلوي (**حجة الله البالغة**) وغيره من العلماء الذين ساهموا في محاولات التأصيل لمقاصد الشريعة في أنظمة الأسرة. ومنها محاولات أبو الأعلى المودودي رحمه الله في معالجة مختلف الإشكاليات الإجتماعية من خلال **تفسيره للقرآن الكريم**. فقد خصّ في كتاباته الأسرة في الإسلام وبيّن حقوق وواجبات المرأة ودورها الفعال في الأسرة، وتابعه في ذلك الكثيرون من علماء الهند. ومنهم من ترجم القرآن الكريم الى اللغتين الأنجلبزبة والأردية محاولين تأكيد معاني الإصلاح الاجتماعي أنها لن تتم بنيتها من غير التركيز على الأسرة.

أما في المغرب العربي فواصل هذا الاتجاه الطاهر بن عاشور في (**تفسير التحرير والتنوير**)، وفي كتبه القيمة (**مقاصد الشريعة الإسلامية**) و(**أصول النظام الإجتماعي**). وتعد قراءة ابن عاشور لمقاصد أحكام العائلة متميزة في المجال الأصولي والفقهي. حيث يتضح في قراءته استيعابه لأهم محاور تلك الدراسات السابقة، مما مكنه من تحليل مفرداتها لتقديم قراءة منهجية متميزة متجاوزاً بذلك القراءات السابقة ومتحدياً من يأتي بعده في استكمال البنى المنهجية التي فتح مدارات تناولها بأسلوب فعال له قابلية التطوير في البناء عليه في جميع المحاور؛ خاصة للباحثين في مناهج التعامل مع المقاصد أو مناهج التعامل مع الأسرة لإضافة لبنات منهجية تعلي البناء وتثريه وتطوره إذا استوعبت تلك المؤشرات ايجابياً. فقد ضمّ الجزئيات العديدة والمتفرقة ليقولبها بشكل واضح ومتميز من خلال تأطيره لمقاصد العائلة واخراجها من مجال التقنين الضيق الى أطر التأصيل المقصدي الواسع.

وقد ركز رحمه الله على تحديد المبادئ العامة في أصل تشريعات الأسرة وهو كما قال: "إحكام وضبط العلاقات الإنسانية في حصرها في ثلاثة مناطق أساسية آصرة النكاح وآصرة القرابة وآصرة الصهر. وكأنه من خلالها تمكن من تحديد الأولويات المقصدية العليا والتي بدورها تستبطن مؤشرات منهجية في أن أهم مقاصد أحكام العائلة، توسيع شبكة العلاقات التي تحدد بدورها الحقوق والواجبات المتبادلة بين البشر في تلك العلاقات التي صدرت كتنظيمات تشريعية. والتي لا نبالغ إذا قلنا أنها تعد من أهم القضايا التي تفتقدها جميع النماذج التشريعية والاجتماعية اليوم سواء الغربية أو الشرقية أو غيرها. وهذا يرجع

إلى خصائص الشريعة التي تمتاز بالتكاملية بحيث لا يطغى بعضها على بعض بل تتفاعل وتتكامل بانضباط يصعب وجوده في أي تنظيمات بشرية أو دينية أخرى.

ولقد تناول هذه المسألة من قبل بعض السابقين ولكن لم تتبلور بالصورة التي قدمت في تحليلات ابن عاشور.

ثم تعددت وتنوعت الدراسات حول قضايا الأسرة وتنوعت مداخلها لانفتاح العالم الإسلامي على الغربي واختلاط المرجعيات عند البعض. وقد اختلفت مناهج تناول قضايا الأسرة في الأدبيات المعاصرة، الأمر الذي أدى إلى اختلاف طبيعة تناولها من حقل إلى آخر. فمناهج الدراسات التربوية تختلف عن القانونية أو الدراسات الاجتماعية أو الانثروبولوجية أو الخدمة الاجتماعية أو الصحية وغيرها.

ومن جهة أخرى فقد ظهرت موسوعات حديثة تناولت أحكام الأسرة بالتفصيل متبعة أسلوب الفقهاء الأوائل إلا أنها بلغة العصر مثل ما كتبه د. عبد الكريم زيدان في كتاب "**المفصل في أحكام المرأة**"[٦]، وكذلك ظهرت "**موسوعة تحرير المرأة في عصر الرسالة**" المهمة لعبد الحليم أبو شقة وهي محاولة منهجية أخرى للتأصيل لقضايا المرأة والأسرة وتناولها المباشر من مصادرها الرئيسية القرآن والسنة النبوية الصحيحة التي اعتمد فيها على تخريجات الشيخين البخاري ومسلم.

كما برز في العقدين الأخيرين اتجاه يمثل النموذج المعرفي الإسلامي لدى بعض الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية –والتي لا يزال موضوع قضايا الأسرة فيه يعتبر في بداياته– ويدعو هذا النموذج إلى تطوير وبناء مناهج قادرة على مراجعة المسلمات النظرية والمناهج التحليلية السائدة في المدارس الغربية التي تمثل المنظور العلماني والتي تدرس في الجامعات العربية والإسلامية وقد دُرج على تدريسها دون مراجعة أو نقد، كما يدعو إلى دراسة ومراجعة العلوم الشرعية والتشريعية كمحاولة للخروج من الدوائر الضيقة للنظريات الاجتماعية الغربية وتطوير منظور إسلامي قادر على تقديم إطار تحليلي أكثر تفسيرية للظواهر الاجتماعية في السياق التاريخي والحضاري الإسلامي، بل والعالمي. وقد قدم عدد من المحاولات الجادة التي تؤمن بفاعلية دور الأسرة وآثارها في فرز وحل العديد

[٦] زيدان، عبد الكريم، **كتاب المفصل في أحكام المرأة** (بيروت: مؤسسة الرسالة، طبعة أولى، ١٩٩٣م).

من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع بل والأمة ولقد ظهرت تلك الدراسات كظاهرة صحية في معالجة الإشكاليات من خلال الرسائل الجامعية وعلى سبيل المثال لا الحصر ما قدمته هبة عبد الرؤوف، **المرأة والعمل السياسي – رؤية إسلامية**، ولقد تناولت دور الأسرة تناولاً منهجياً قدمت من خلاله إضافة منهجية هامة إلا أن ركزت على ابراز دور الأسرة بشكل عام وليس للأسرة المسلمة في أمريكا خاصة، وكما أن هناك اليوم العديد من الرسائل الجامعية المهمة التي تشكل إضافات منهجية سواء في المقاصد أو في دراسات الاسرة أمثال دراسات أحمد الريسوني ، نظرية المقاصد عند الشاطبي، وإسماعيل الحسني: نظرية المقاصد عن محمد الطاهر بن عاشور. وقد اهتمت الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بفقه المقاصد والتي تبلورات في مؤتمراتها، فقد عقدت الجامعة في صيف ٢٠٠٦م مؤتمراً عالمياً ناقش فيه العلماء والمفكرين موضوع المقاصد من جوانب متنوعة في أبحاث قدمت للمؤتمر. كما انعكس هذا الاهتمام على كتابات العديد من أساتذتها وطلابها كالدكتور قطب سانو الذي اهتم في مقالاته وأبحاثه العلمية في تناول الجانب التأصيلي للمقاصد، وكذلك فعل محمد طاهر الميساوي حين قام بتحقيق كتاب ابن عاشور مقاصد الشريعة وغيرهما. كما كتب العديد من طلاب الجامعة في موضوع المقاصد خاصة فيما يتعلق بموضوع المقاصد الأسرية والذي تم التركيز فيه على مقصد حفظ النسل وما طرأ من مستجدات في تطوير عالم الطب والتكنولوجيا في علم الجينات وأطفال الأنابيب والأرحام المستأجرة وإشكالية الاستنساخ والإجهاض وغيرها من التحديات التي يتعرض لها العلماء والفقهاء المسلمين للاجابة عليها في مجال مقصد حفظ النسل. وهذا ما ركزت عليه رسالة فريدة زوزو وغيرها من الطلاب المهتمين بالمقاصد في الجامعة، والذين تناولوا هذا الموضوع في إطار التركيز على مقصد معين من الضروريات الخمسة أو نحوها. على الرغم من أهمية وخطورة الموضوع، إلا أن تحديات اليوم تتطلب البحث في المقاصد الأسرية ونحوها ثم العمل على تفعيلها في مختلف البيئات والمجتمعات الإسلامية منها وغير الإسلامية.

ومن هنا جاءت اطروحات د. جمال الدين عطية خاصة في كتابه الأخير "**تفعيل مقاصد الشريعة**" الذي حاول فيه أن يبني على ما بدأه ابن عاشور في البنية الكلية في مقاصد العائلة إلا أن أسس البنية لا تزال غير مكتملة نظراً لانه تحول عنها إلى الجزئيات

وقد دعا في أخر الكتاب عن الحاجة إلى العديد من الأبحاث في هذا المجال. وكذلك المجلات العلمية والثقافية المختلفة التوجهات التي تناولت الأسرة المسلمة في العالم الإسلامي أو الغربي[٧]، بل وحتى على مستوى تطوير التكنولوجيا أصبحت تقدم أفلاماً تعرض قضايا المرأة والأسرة في الإسلام.

أما بالنسبة للدراسات في الغرب فقد بدأت تلك المحاولات منذ سنوات بالكتابات التأصيلية التي قام بها د. اسماعيل الفاروقي في "**التوحيد**"، و"**الأطلس**" وكتابات د. فضل الرحمن، د. علي مزروعي، وغيرهم الكثير، ومن جهة أخرى قدمت دراسات قانونية أمتزجت بالشرعية أمثال كتابات د. عزيزة الهبري وغيرها من الباحثين والباحثات في المجال القانوني في جامعات هارفرد وريجموند وغيرها ببعض المحاولات في الزواج والطلاق من الناحية القانونية محاولين توظيفه في المحاكم الأمريكية، إلا أنها تنقص تلك الدراسات البعد التأصيلي الخالي من التحيز وخاصة أن الكثير منهم ينتمي إلى حركات نسوية أو نشأ في أحضان العلمانية، وهذا قد يشكل بحد ذاته تحدياً للشرعيين والفقهاء للقيام على صياغة ضوابط تحمي النصوص من إسقاطات ليست منها.

ولذلك فقد حاول بعض المفكرين تقنين الفقه حيث نشرت مؤلفات تدعو إلى تطوير وتأصيل ما يسمى بفقه الأقليات الذي حاول فيه الدكتور يوسف القرضاوي وطه جابر العلواني وناقشته رسالة ماجستير (**من فقه الأقليات المسلمة**) للأستاذ خالد عبد القادر نشر في كتاب الأمة وكذلك ما قدمه طارق رمضان في انجلترا لمعالجة التحديات العنيفة التي تواجه المسلمين العامة منهم والخاصة وهو فقه واسع المساحة تناول مختلف القضايا ولايزال بحاجة إلى التطوير في المناهج، ولكن يمكن الاستفادة من مفرداته في هذا البحث فيما يختص بقضايا الأسرة فحسب. ولقد توسعت في الآونة الأخيرة الدراسات حول الأسرة في الإسلام ونشرت العديد من المقالات وتناولتها العديد من محطات الانترينت وذلك نظراً لاهميتها، ولكن كل هذه الدراسات تناولت الجزئيات مما جعلتها في كثير من الأحيان تطغى على الكليات وتفقد معانيها المقصدية. وقد تكون من أقرب

[7] There are many Journals that deal with Muslims Issues such as: The Journal of Marriage & the family published by National Council on Family Relations, it has been published for 60 years. It studies the history of the family and its development.

الدراسات إلى بحثنا التي تناولت موضوع المرأة والأسرة المسلمة بين الغرب والشرق ما كتبته الأستاذة الفاضلة د. آن صوفيا رولاد[8] في كتابها: "**النساء في الإسلام: تجربة غربية**" بمراجعة وتحليل مقولات بعض العلماء والأساتذة المسلمين في الآونة الأخيرة ومدى استيعابهم وفهمهم لمفاهيم قرآنية تتعلق بموقع المرأة في الإسلام، ولقد اختارت أهم الاشكاليات التي أثارها الغرب ضد النموذج الإسلامي ومنها الدرجة والقوامة والنشوز وعلاقة الرجل بالمرأة في الزواج والتعدد والطلاق، وحجاب المرأة. ولقد بذلت الباحثة جهداً في استقراء آراء العديد من علماء المسلمين ودعاتهم سواء في البلاد العربية والإسلامية أو في بلاد الغرب وأختارت عناصر من حركات وتيارات إسلامية متنوعة ومنشرة في العالم الإسلامي والغربي لتجري مقابلات شخصية معهم. وخلاصة عملها هذا تبين مدى سعة التغيير والإختلاف في تفسير معاني المفاهيم والانظمة القرآنية المختلفة كالقوامة والنشوز والزواج والطلاق وعلاقة الرجل بالمرأة على العموم وتبين من الدراسة مدى قوة وعمق آثار البيئة والأعراف المختلفة على فهم العلماء ثم على المجتمع عامة والعكس.

وبطبيعة الحال فإن التأثر بالطرح الغربي ومقولاته في القول بتغير وضع الرجل في الأسرة بتغيير الظروف مما دعا الباحثة وغيرها إلى طرح تساؤلات عديدة حول مسائل الزواج والطلاق والقوامة حتى سألت هل تسقط قوامة الرجل إذا قيل أنها "مرتبطة بفكرة الإنفاق ومسؤولياته" إذا شاركت المرأة بالنفقة في نفس مستوى نفقة الرجل؟ فإن قيل أنها لا تسقط، فما معنى القوامة إذن؟ وغيرها الكثير.

ولقد تبين من المراجعة خطورة تحويل الأحاديث إلى مجرد أدلة توافق رأي القائل أو تخالفه مما يؤكد أهمية بذل الجهد والجهيد بالتعاون العلمي الجاد بين فقهاء العصر ومحدثيهم في الوصول إلى منهج فعال في التعامل مع النصوص وذلك في إيجاد منهج يتطلب من القارئ عدم الإقبال على النص بفرضيات مسبقة يريد فيها إثبات رأيه أو منهجه وإنما يقدم القارئ للقرآن أو السنة طلباً للهداية في إيجاد الحقيقة.

كما نشرت الباحثتان زينب طه العلواني، وسلمى أبو جديري كتاباً حول الأسرة المسلمة في أمريكا سنة ٢٠٠٣م، ثم أعيدت طباعته في ٢٠٠٧، يهدف الكتاب إلى طرح

[8] Anne Sofie Roald, *Women In Islam: The Western Experience*, Routledge, London, 2001.